مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

"تنبؤات المستقبل عند ألفين توفلر"

الباحثة

سهام رسلي عبدالباسط

مدرس مساعد بقسم الفلسفة

مقدمة:

لقد تهيأ التاريخ لمرحلة جديدة مختلفة عن كل مراحل التاريخ الإنساني، ولطالما كان العالم يشهد تغيرات وتحولات مفصلية في ثقافاته العامة، ولطالما كان للمفكرين والعلماء بصمة دقيقة في تحول المسار الثقافي والعلمي لعالمنا، وها هنا أتى لنا مفكر آخر من طراز رفيع يحمل معه أفكارًا مستقبلية ذات ثروة فكرية هائلة، تكاد تكون الأبرز والأعظم عن باقي الأفكار الأخرى، إنه "ألفين توفلر" الذي شيد سلسلة من مؤلفات متناسقة تهتم بالمستقبل وما سيجري علينا من تغيرات متسارعة في عالم يحكمه التقدم العلمي، إذ يرى "توفلر" أن العالم سينتهج نهجًا جديدًا في كل المجالات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو العلمية ... إلخ. كل هذا سيتأثر بفعل التقنية والمعلومات التي ستهيمن على كل جوانب الحياة، لكنها ستؤدي إلى قيام صدمة عالمية تُسمى بصدمة المستقبل، وذلك لعدم استيعابها والتهيؤ لها، لأنها ستفرض علينا عالمًا متسارعًا يغير ما حولنا وما كان سائدًا في مجتمعاتنا، حتى القيم والثقافات المتوارثة سوف لا يكون لها مكان في المجتمعات المتقدمة، بل سيكون هناك قيم متنوعة تتغير بصورة متسارعة مع التغير المتسارع في العالم الواقعي.

والتغير في نظر "توفلر" هو علة ما يحدث في عالمنا من أحداث. كما يوجد ارتباط وثيق بين المستقبل والتغير فهذه العلاقة قديمة، ولكنها أختلت في وقتنا، وقد ترتب ذلك على السرعة الهائلة نتيجة للثورة الصناعية وعليها تبدو نظرة "توفلر" إلى التنبؤ التاريخي متوافقة مع نظرة "بوبر" للتاريخ، حيث ذكر "توفلر" أن الأحداث التي تمس الإنسان والمجتمعات البشرية تتسم بأنها معقدة وغامضة إلى جانب كونها مليئة بالمصادفات والصراعات والتقلبات ومن ثم يعجز العلم عن تقديم تنبؤات دقيقة حولها.

وقد أكتشف "توفلر" أداة قياس فعالة وهي الزمن، وأنه ثمة ارتباط وثيق بين الزمن والتغير، فالتغير بغير الزمن يصبح شيئاً لا معنى له هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التغير يعمل على دفع الزمن وتحريكه. فالزمن من أهم العوامل التي ينقسم على أساسها سكان العالم وذلك إلى جانب عوامل أخرى كالعنصرية، والقومية، والدين، والايديولوجية.

تنبؤات المستقبل عند " ألفين توفلر":

إذا نظرنا إلى نظرية " توفلر" في التغير، وما يترتب عليها من آثار عميقة، فالتغير هو نقطة البدء التي انطلق منها "توفلر" لدراسة تاريخ العالم، إنه العلة الأساسية أو السبب المباشر لما يحدث في عالمنا المعاصر من أحداث، ويستطيع " توفلر" من خلال التغير أن يعين على حد قوله اتجاه المجتمع لكنه لا يستطيع أن يستقرئ المستقبل ومن ثم فإنه يرفض فكرة التنبؤ بالأحداث المستقبلية وإنما بإمكانه ان يقدم احتمالات أو توقعات مستقبلية. (١)

وقد اتفق "توفلر" مع وليم جيمس(*) **Wiliam James** (١٨٤٢م-١٩١٠م) في أن العالم هو عبارة عن حقيقة مرنة غير مكتملة يمكن وصفها بالتعدد والتغير والحركة المستمرة. ومن هنا فإن لفلسفة وليم جيمس طابعًا زمنيًا يجعل منها فلسفة فعلية تؤمن

---

(١) د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**،)، رقم الايداع ٢٠١٦/٩٢٧٤١.

(*) **وليم جيمس Wiliam James** : نال شهرة عظيمة كفيلسوف ومتخصص في علم النفس، كان جيمس الابن الأكبر لهنري جيمس، وكان أحد إخوة وليام هو الروائي هنري جيمس، التحق جيمس في التاسعة عشرة من عمره بمدرسة لورانس للعلوم التابعة لجامعة هارفارد، فدرس الكيمياء التشريح المقارن والفسيولوجيا وفي سنة١٨٦٤ م دخل مدرسة الطب بجامعة هارفارد . **انظر:**

Brian Duignan : **The 100 Most influential Philosophers Of all time**, Britannica Educational Publishing, New York, 2010, p. 227

بأن المستقبل مفتوح دائمًا Openness of the Future أعني أن العالم ليس مكونًا، بل هو في دور التكوين In the making وبعبارة أخرى فإن جيمس لا يرفض تلك المذاهب الواحدية التي تريد أن تفسر شتى ظواهر الكون بالرجوع إلى مبدأ ميتافيزيقي واحد، بل هو يرفض أيضًا تلك الفلسفات المطلقة التي تقول بالثبات أو بالجواهر الثابتة، لأنه يرى أننا نحيا في عالم متغير لا سبيل إلى تشبيهه بعالم المثل أو الصور المحضة التي لا تعرف التغير أو الصيرورة أو الزمان لأنها بطبيعتها متجهة نحو المستقبل .[١]

١) التغير واستشراف المستقبل:

رأى "توفلر" أن التغير[*] هو العملية التي يغزو بها المستقبل حياتنا وإنه لأمر بالغ الأهمية، أن ننعم النظر، وعن قرب، في هذه العملية ليس فقط من الجانب العريض لمسيرة التاريخ، ولكن أيضاً من خلال الأفراد الأحياء الذين يعانون هذه المسيرة.[٢]

إن التسارع الرهيب، الذي أصبح الصفة اللاصقة بعملية التغيير في وقتنا الحاضر، قد أصبح في حد ذاته قوة أساسية. فلهذا الاندفاع المتسارع تأثيراته الذاتية ومعقباته الخطيرة في النواحي النفسية والاجتماعية.[٣] فنجد أن التغير الحاصل داخل المجتمعات الأكثر تطوراً يسير بسرعة وبلا توقف، لدرجة أن ما كان يعد حقائق بالأمس، أصبح اليوم مخلفات وأصبح عسيراً على أكثر الأفراد في هذه المجتمعات، حتى إنهم لم تكن لديهم القدرة الكافية أن يلاحقوا طوفان المعرفة الجديدة وبهذا نجد أن التغير الحاصل والسرعة الهائلة لا يمكن لأى إنسان حتى الأذكياء منهم المجابهة والقدرة على التكيف مع العالم الجديد وهذا يؤثر تأثيراً كبيراً في النواحي النفسية والاجتماعية.

كانت العقود المستقبلية، في العقود الأولى من القرن العشرين ، الاسم المعطى لمدرسة الفنانين والشعراء بقيادة فيليبو مارتيني "Filippo Marinetti". لا ينبغي الخلط بينها وبين تلك الحركة التاريخية، فإن نزعة جديدة هامة، تسمى أيضًا مستقبلية، تجتذب التأييد بين الكتاب والمصممين والمهندسين المعماريين والفنانين وعلماء الاجتماع والفلاسفة وغيرهم ممن يرون في التغيير المتسارع في الحاضر انهيار الحضارة القديمة وولادة حضارة جديدة .[٤]

فصدمة المستقبل ليس تهديداً بعيداً، ولكنها حقيقة تؤثر بشكل متزايد على أعداد كبيرة من سكان العالم، إنها وضع بيولوجي نفسي وصفه "ألفين توفلر" بعبارات طبية ونفسية

---

[١] د. زكريا إبراهيم : **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، دار مصر للطباعة، ط١،القاهرة، ١٩٦٨م،ص٢٦.

[*] **التغيير"Change"**: أعم أشكال الوجود لجميع الأشياء والظواهر ويشمل التغير كل حركة وتفاعل، كما يشمل الانتقال من حالة إلى أخرى. ويوضع التغير –في الفلسفة– دائمًا على أنه نقيض الاستقرار النسبي لصفات الأجسام أو بنائها أو قوانين وجودها. ولكن البناء والصفات والقوانين هي نفسها نتيجة للتفاعل، وتحددها العلاقات المتباينة بين الأجسام، وهي من ثم تنشأ عن تغير المادة. أنظر: م . روزنتال، ب. يودين: **الموسوعة الفلسفية (أ، ع)**، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ص١٣٥.

[٢] د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق .

[٣] المرجع السابق

[4] Alvin Toffler and John Mchale : **The Future and the functions of art : A conversation between Alvin Toffler and John Mchale**, The MIT press, Leonardo, vol.20,No.4, 1987, p.391.

وثيقة الصلة بالموضوع، بأنه مرض التغيير وتظهر هذه الحالة بشكل أكثر حدة في علم الإدارة الذي يخضع لتغير سريع من حيث الإبداع والتطبيق والاستخدام لتلك المهمة وتطبيقاتها المتنوعة بشكل كبير في جميع المنظمات في كافة أنحاء العالم. [١] وقد تحدث العديد من علماء العالم المتقدم عن الأشكال العديدة لما يسمونه بصدمة المستقبل وهذا التعبير هو في الواقع من أشهر كتب ثنائي المستقبليات الشهير "ألفين توفلر" فمثل هؤلاء العلماء يندمجون في البحث والاستغراق في تصورات وسيناريوهات مستقبلية تخص أوطانهم وتمتد إلي كل بقاع العالم وبدلًا من أن نستغرق نحن في نفس الأمر مع الصعوبات المعروفة القائمة فإننا نعمل تحت عبء كبير وهو عبء أوضاع البحث العلمي وعبء افتقاد القاعدة العلمية الحقيقية وغياب فكر وعبور الجزر المنعزلة من ناحية وموازين القوة الدولية التي يتعين علينا أخذها بعين الاعتبار من ناحية أخرى.[٢] ومن هنا يتضح أن الموضوع الأساسي لحجة "توفلر" يمكن أن نذكر بكل بساطة أنه أثبت أن التغيير في معظم مجالات حياتنا كان يحدث بمعدل تسارع مستمر مع مرور الوقت وادعى أننا تعرضنا لمزيد من التغير الذي علق عليه قائلاً: "علينا أن نقبل بأن التغير هو العملية التي يغزو بها المستقبل حياتنا". [٣] وهنا يرى توفلر أن العصر الذي نعيشه بفضل الكشوفات العلمية الحاصلة أمامنا والذي يشهد ثورة شاملة وهائلة في مجال الحياة، يترك أثره المباشر على حياة الانسان، فقد يصاحب هذا التغير الشامل تغيرًا في علاقة الإنسان بالبيئة وبالناس وبالأفكار والمعتقدات والعلاقات ...إلخ. وباختصار فإن توفلر يجد أن الإنسان أصبح كل يوم موجدًا نفسه أمام عالم لم يألفه، وفى الوقت نفسه مطالبًا بالتكيف مع هذا العالم.

وهنا يؤكد توفلر علي حقيقة مهمة، مؤداها أن التغير هو سمة مصاحبة للجنس البشري منذ نشأته على الأرض، ففي الماضي لم يكن التغير ملحوظاً، بل كان بطيئاً ثم ازدادت سرعته حدة التسارعات التي لم تشهدها البشرية من قبل علي الإنسان وعلى البيئة المحيطة به، بل على كافة الأحياء على كوكبنا. كما يقول أيضًا: "وفقدنا التوازن في المجتمع اليوم يتصل مباشرة بتصوراتنا غير الواضحة عن مستقبلات محتملة".[٤] إذن يلزم "توفلر" على كل فرد التكيف مع أي تغيير حاصل، لأن الفرد إذا لم تكن له القدرة على التكيف فإنه سيتعرض للصدمة.

وتتركز فكرة "توفلر" حول الفجوة بين معدل التغيير في البيئة بفعل التكنولوجيا وثورة المعلومات وبين معدل استجابة الأفراد وتكيفهم مع هذا التغير، ويرى "توفلر" أن البيئة تتغير بإيقاع أسرع كثيراً من إيقاع استجابة البنى الاجتماعية والقيم الثقافية

---

[١] أبوحمور الشايب أحمد محمد: **مفاهيم إدارية معاصرة**، المنهل للنشر والتوزيع، ط١، لبنان، ٢٠١٤م، ص ص ١٤١، ١٤٢.

[٢] د/ أحمد شوقي: **حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب**، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة،٢٠٠٢م، ص١١٠.

[3] T.M.G Alvin: **Experiences of work within Rapid changing organizations (valume1)**, for the degree of P.H.D, university of Bath, 1983, P.22.

[4] Alvin Toffler: **The Future Shock**, , Random House edition published, New York, 1970, p .X

وبازدياد هذه المشكلة حدة تزداد الفجوة اتساعاً، وما ينجم من اغتراب وخلخلة مستمرة في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية.[١] إذا قلنا أننا نعيش في عالم متغير سريع الخطى، فهذا تقليل كبير من شأن ما نعيشه فعلاً، لأن معدل انتشار المعرفة والسهولة التي يمكن الوصول فيها إلى المعلومات، أمر على قدر كبير جداً من الروعة عام ١٩٦٩م، كتب "نييل بوستمان[*] Neil postman (١٩٣١- ٢٠٠٣م) وتشارلز وينجارتنر" Charles weingartner عن التغير في كتابهما التعليم بوصفه نشاطاً تدميرياً "Teaching as a subversive activity" باستخدام ساعة جرى ضبطها لقياس معدلات الاختراعات المتعلقة بالاتصالات.[٢] وهنا يرى "توفلر" ان التسارع المعلوماتي والتغيرات الثقافية والتطور الهائل الموجود في العالم، وكل هذه التطورات التي تحصل وستحصل سيكون من العسير على الفرد التكيف معها بسهولة.

ويجادل منظر العولمة الأمريكي "توماس فريدمان[**] "Thomas Friedman بصورة مقنعة في أننا نعيش في حقبة فريدة من نوعها، وأن عالمنا مسطح. في الواقع، فإن تطور المواصلات والاتصالات في القرون القليلة الأخيرة قد حفض حجم العالم من متوسط إلى صغير. فمنذ عام ٢٠٠٦م دخلت عوامل تقنية (تكنولوجية) كثيرة دفعة واحدة، منحت الافراد قوة جديدة للتعاون والمنافسة عالمياً عبر منبر (عالم مسطح)، وهذا العالم المسطح هو العالم الذي أصبح فيه الوصول إلى كل شخص أخر أمراً سهلاً، وأصبح ذلك ممكناً، علي نحو ما، بسبب إمكان التقارب عن طريق أجهزة الحاسوب الشخصية، وأكبال الألياف الضوئية، والتقدم في برامج الحاسوب التفاعلية.[٣]

---

[١] د/ مدحت محمد أبو النصر: **مناهج البحث في الخدمة الاجتماعية**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م، ص١٢٦.

[*] **نييل بوستمان(١٩٣١- ٢٠٠٣م)** : هو مؤلف أمريكي ، ومختص في مجال الإعلام ، وناقد ثقافي ، أشتهر بكتبه السبعة عشر . **انظر:**
https://ar.m.wikipedia.org/wiki7/8/2017

[٢] توماس آر. روزبرو – رالف جي. ليفيريت: **التعليم التحويلي في عصر المعلوماتية (ربط هدف التعليم وطريقة التدريس بالطلاب)**، ترجمة: وسام صالح عبدالله، دار العبيكان، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٧.

[**] **توماس فريدمانThomas Friedman :** ولد توماس لورين فريدمان في العشرين من يوليو ١٩٥٣م في مدينة "مينيابوليس" بولاية "مينيسوتا الأمريكية " وهو النجل الأول لهارولد ومارجريت فريدمان . فقد نشأ في أسرة من الطبقة المتوسطة ، حيث يعمل والده كمسئول تنفيذي في إحدى الشركات ، أما والدته فقد عملت
كحامله الراية في البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية وبعد الزواج أصبحت ربة منزل ومحاسبة بنصف أجر . وقد توفى والده نتيجة نوبة قلبية في عام ١٩٧٣م ، واوفيت والدته في عام ٢٠٠٨م .**انظر:**

Thomas L. Friedman : **From Beirut to Jeusalem** , farrar & strausand Giroux, first . Edition , New York, 1989,p.4 .

[٣]توماس آر. روزبرو – رالف جي. ليفيريت: **التعليم التحويلي في عصر المعلوماتية (ربط هدف التعليم وطريقة التدريس بالطلاب)**، ترجمة: وسام صالح عبدالله، مرجع سابق، ص ص ٩، ١٠.

وقد أشار "فريدمان" إلى أن التغيير مختلف جداً الآن، لأن الأفراد أصبحوا متمكنين من الاتصال عالمياً عن طريق وصل الجهاز بالكهرباء. والحقيقة الأهم هي أنه لضمان استمرار عملهم، يتعين على هؤلاء الأفراد تأكيد (القيمة المضافة) أو المخاطرة بفقدان عملهم، لمتعاقدين خارجيين. وهنا نود أن نسأل ما قيمتك المضافة بصفتك معلماً؟ ما الفرق الذي يمكن أن تحدثه؟ كيف يمكن للمعلمين مواجهة عالم جديد مثل هذا؟ إن موضوع هذا الكتاب يتناول الكيفية التي يدرك فيها المربون مدى أهمية القيمة المضافة إلى التلاميذ نحن نعتقد أن البداية هي أن نفهم أولاً لماذا نعلم؟ [١]

التغير المتسارع هو أيضاً قوى سيكولوجية كبرى، بالرغم من أن علم النفس يكاد يتجاهله تجاهلاً تاماً، فمعدل التغيير الذي يجرب في العالم حولنا، يزعزع من توازننا الداخلي، ويعدل من نفس المنهج الذي تسير عليه في حياتنا. فالتسارع في خارجنا يترجم إلى تسارع في داخلنا، ومازال ثمة سبيل من أهم وأقوى السبل التي يسلكها التغير المتسارع في المجتمع لجعل قدرتنا علي مواجهة الحياة أصعب. ونعني به ذلك الأسلوب المدهش الذي تقتحم به الجدة كل شيء في حياتنا. فنحن نعلم أن المواقف تتميز، ولكنها غالباً ما تتشابه إلى حد ما، وهذا ما يجعل تعلمنا من التجربة ممكناً. ولكن عندما يكون الموقف جديداً تماماً وليس ثمة علاقة شبه بينه وبين ما سبق من مواقف. فإن قدرتنا على مواجهته ستصاب بالشلل.[٢] فالجديد في الفلسفة البرجماتية، هو أنها استبدلت بالنظر إلى الماضي، النظر إلى المستقبل ... ولذا فالفلسفة البرجماتية لا تسأل كيف تنشأ المعرفة أو الأفكار بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة أو تلك في عالم الواقع .[٣] وهكذا فإن المستقبل هو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه الفلسفة البرجماتية، أشار "وليم جيمس" مؤكدًا ذلك لنا الآن أن نقرر بثقة ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعينه تكون عنصرًا مهمًا من عناصر الميول الفلسفية، وأن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة، ولا تعمل على ذلك لا يمكن أن تحوز قبولًا عامًا. وبالتالي فإنها فلسفة متشائمة. وانطلاقًا من المستقبل ترفض الفلسفة البرجماتية كل الفلسفات التي تكتفي بتحليل مكونات العالم، ولا تعمل على تغييره، وتكتفي بالنظر إلى الماضي بدلًا من المستقبل.[٤]

وإدراكاً من "هولمز وراي" لحقيقة أن أنواع التغيير المختلفة في الحياة تؤثر فينا بدرجات مختلفة من القوة، بدا في وضع قائمة تشمل كل ما استطاعا حصره من أمثال هذه التغييرات، واضعين في اعتبارهما أن أحداثًا مثل الطلاق، والزواج، وتغير السكن تؤثر في كل منا بدرجة مختلفة، كما أن بعض هذه التغيرات يحدث أثاراً أكبر مما يحدثه البعض الآخر. وعلى سبيل المثال، فإن القيام برحلة في أثناء الإجازة قد يمثل كسراً ممتعاً

---

[١] المرجع السابق: ص١٠.

[2] Alvin Toffler : **Future Shock**, Op.cit, p. 41.

- الترجمة : ص ص ٣٣، ٣٥.

[٣] حسن محمد الكحلاني : **فلسفة التقدم (دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ)**، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص ١٠٦.

[٤] المرجع السابق : ص ١٠٧.

لروتينية الحياة، ولكنه لا يمكن مقارنته من حيث الأثر بوفاة أحد الوالدين مثلاً.[١] من هنا نرى مدى تأثر "هولمز وراي" "بتوفلر" حيث أرادا أن يكون انسان اليوم متمتعًا بوعي منسجم مع معطيات الواقع، فالتغير المستمر يملي علينا أن نكون متأهبين لكل حدث قد يهدد المنظومة المجتمعية، فإن حدث أي تغيير في واقع العالم ولم نكن قد تفاعلنا معه بصورة صحيحة سنكون عندها معرضين للانهيار المجتمعي.

إن السمة البرجماتية تبدو واضحة جلية في نظرة توفلر للتاريخ، لقد اهتم بالبحث في الماضي عن فكرة التغيير وتتبع مساراتها ونتائجها حتى وقتنا الحاضر، إنه يهدف إلى الربط بين الماضي والحاضر، وهذه علامة أساسية اتسمت بها دراسة البرجماتية للتاريخ. فالبرجماتية تؤمن بأن الماضي ينبغي أن يكون تابعاً للحاضر، والبرجماتية تدعو إلى نزعة تاريخية أداتية، ترى أن المعرفة أداة الفهم وتوضيح المشكلات الاجتماعية الراهنة. وتمثل هذه النزعة جانباً هاماً من الثورة ضد المؤسسات القائمة، وتفسيراتها الصورية الخاطئة.[٢]

وكما يقرر "ألفين توفلر" فالحقيقة أن كل دفعتنا نحو المستقبل إنما تحملنا بعيداً عن التنميط، بعيداً عن السلع المتجانسة وعن التماثل في الفن وعن أسلوب الإنتاج الكبير في التعليم والثقافة، إننا قد وصلنا إلى مفترق جدلي مهم في التطور التكنولوجي للمجتمع، فالتكنولوجيا بدلاً من أن تفرض قيوداً على فرديتنا، سوف تضاعف من مجالات اختيارنا ومن آفاق حريتنا.[٣]

٢- التغير والتنبؤ التاريخي :

أوضح "توفلر" في مواضع مختلفة من كتابه "صدمة المستقبل" أن الأحداث التي تمس الإنسان والمجتمعات البشرية بصفه عامة تتسم بأنها معقدة وغامضة إلى جانب كونها حافلة بالمصادفات والصراعات، والمفاجئات، والاضطرابات، والتقلبات ومن ثم فإن العلم يعجز عن تقديم تنبؤات دقيقة حولها. يقول "توفلر" سيكون من الغباء الادعاء بقدرة العلم، حتى الآن، علي أن يتنبأ بأحداث معقدة تنبؤاً دقيقاً. ولكن الخطر اليوم ليس في المبالغة في تقدير قوتنا، بل الخطر الحقيقي هو في عدم استخدامها على الوجه الاكمل. لأنه حتى لو أسفرت محاولاتنا للتنبؤ العلمي عن أخطاء فإن المحاولة في حد ذاتها ستساعدنا في معرفة التقلبات الهامة للتغيير، وتساعدنا على استيضاح الأهداف، وتفرض تقويماً أكثر عناية للبدائل في أي خطة أو سياسة ترسم.[٤] إن نظرة "توفلر" إلى التنبؤ التاريخي يتفق كثيرًا مع نظرة "بوبر" للتاريخ، حيث يقول "بوبر": "والتنبؤات الاجتماعية الدقيقة المفصلة هي إذن مستحيلة".[٥] وبالطبع لا يستطيع أحد أن يعرف المستقبل بأي معني مطلق. إننا نستطيع فقط أن نمنهج ونعمق افتراضاتنا، وأن نحاول أن نقرن بها

---

(1) Alvin Toffler : **Future Shock**, Op.cit, p. 169.

-الترجمة : ص٣٤٤.

(٢). د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق.

(٣) د. محمد محفوظ: **العولمة (المسيرة البشرية لإدراك المشتركات الانسانية "قراءة ضد التيار")**، دار شمس، ط١، ٢٠١١م، ص١٤٨.

(4) Alvin Toffler: **The Future Shock**, Op.cit, P.418.

(٥) د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق .

الاحتمالات. التنبؤ الاجتماعي لابد وأن يكون أمراً عسيراً جداً، لا بسبب تعقد الأبنية الاجتماعية فحسب، بل أيضاً بسبب ذلك التعقد الخاص الناشئ عن تبادل التأثير بين التنبؤات والحوادث المتنبئ بها. وحتي هذا ليس بالأمر السهل. فمحاولات التنبؤ بالمستقبل ستعدل منها حتماً. وأيضاً فإنها ما إن تنتشر حتي تؤدى عملية الانتشار (عملية متميزة عن عملية البحث والاستقصاء)، إلى التشويش. فالتنبؤات تنزع إلى أن تصبح محققة لذاتها أو محيطة لذاتها. وكلما أمتد أفق الزمن في المستقبل، اضطررنا إلى الاعتماد على الحدس والتخمين المرتكزين على المعلومات، وفضلًا عن ذلك فإن بعض الحوادث الفريدة – كالاغتيالات مثلًا– غير قابلة للتنبؤ في الحاضر (بالرغم من أننا نستطيع التنبؤ بأنواع من مثل مستوى هذه الأحداث).[1] يتضح هنا مدى اتفاق "توفلر" و"بوبر" في رفضهما لفكرة التنبؤ حيث اعتبر توفلر التنبؤ لونًا من ألوان التنجيم كذلك اعتبر بوبر التنبؤ شيء مستحيل.

ومن هنا يتضح أن التنبؤات التاريخية تعتبر لوناً من ألوان التنجيم، وإن استندت إلى وقائع وحوادث ماضية، فالمستقبل مجهول تماماً، لأن التاريخ لا يطلعنا على تكرار عمليات دائمة لا تتوقف كالعمليات الطبيعية التي تخضع لقوانين ثابتة.[٢] ولكي نحدث تغييراً جذرياً في المسار التاريخي لابد أن نستوعب عناصر التغيير الفعال وخصوصاً التي تؤسس طريق المستقبل وبشكل أخص العناصر المستحدثة، ومن هذه التحديات التاريخية الجديدة ظاهرة المعلوماتية التي فرضت نفسها كعنصر حاسم في صياغة المستقبل.[٣]

وبدء العالم يأخذ منحى تطورياً أساسه العلم والمعرفة حتى القرن الواحد والعشرين الذي شهد ثورة معرفية كبيرة أساسها وعمادها ومادتها المعلومات لا غير، حيث أصبحت السلاح الذي يتيح لمن أمتلكه القدرة والسيطرة على العالم لأن هذا القرن هو خلاصة مركزة لتطور التراكم العلمي والمعلوماتي والمعرفي لتاريخ البشرية.[٤] ونلاحظ هنا حيث التسارع المعلوماتي والتغيرات الثقافية والتطور الهائل الموجود في العالم، وكل هذه التطورات التي تحصل وستحصل سيكون من العسير على الفرد التكيف معها بسهولة.

ويرى "ألفين توفلر" أن القوة في القرن الواحد والعشرين لن تكون في المعايير الاقتصادية أو العسكرية، ولكنها تكمن في عنصر المعرفة "**Knowledge**"، حيث يؤكد في كتابه "تحويل السلطة" أن المعرفة بصفتها وسيلة تختلف عن كل الوسائل الأخرى كونها لا تنضب، ويمكن استخدامها بأفضل شكل لتعطي الأفضلية باستراتيجية وتكتيك هادئ، وأن خطورة المد المعلوماتي الجديد تنبع من قدرته على استحواذ القنوات والأدوات التي تصنع ثقافة الفرد، وتستحوذ على بنيته المعرفية وتتحكم في سلوكه وتوجهاته، وأهدافه، وبعبارة موجزة فإنها تسترقه في القطيع الإلكتروني الذي تقوده قلة ونخبة تستحوذ على معظم موارد العالم.[٥] وبهذا يعتقد "توفلر" أن المعرفة هي السلاح الأوفر حظًا في الهيمنة

---

[1] Alvin Toffler: **Future Shock**, Opcit, P.416.

[٢] د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق.

[٣] عبد الأمير مويت فيصل: **الصحافة الالكترونية في الوطن العربي**، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠٥م، ص٥٢.

[٤] المرجع السابق : ص ٥٢.

[٥] المرجع السابق: ص٥٢.

على واقع العالم الجديد، كما أن المعرفة هي العامل الرئيسي في تحصيل القوة والثروة، فكل مؤسسات العالم الجديد ستجني ثروتها وقوتها بفعل المعرفة.

اكتشف "توفلر" أن الظواهر التي نشهدها في عالم اليوم تعد انعكاساً لأحداث الماضي، فالتحليل الاجتماعي وليس التنبؤ هو الوسيلة التي أدت به إلى توقع موجة ثالثة من التغير. رأى "توفلر" أن حادث وقع في الماضي ولم يتعد أثره وقت حدوثه سوى فئة قليلة من البشر يمكن أن يكون له تأثيرات واسعة المدي في وقتنا الحاضر، خذ مثلًا "حرب البليبونيز"، إن هذه الحرب لم تعد أن تكون مناوشة صغيرة إذا قسناها بمقياس الحروب في عصرنا، وعندما أشتبك أهل أثينا وأسبرطة وعديد من دول المدن المجاورة في هذه الحروب، لم يكن يحس بها أو يعلم بوقوعها باقي سكان الكرة الأرضية؟ فمثلًا لم يحس بهذه الحرب من قريب أو بعيد الهنود الزابوتيك الذين كانوا يسكنون المكسيك في هذا الزمان، ولا شعر بأي أثر من آثارها قدماء اليابانيين.[١]

وقد قدم "ألفين توفلر" في كتابه "صدمة المستقبل" توثيقاً باكراً لسرعة الحياة المعاصرة المتزايدة بشكل غير مسبوق، نحن نسافر أكثر وأسرع، ننتقل أكثر إلى مساكن جديدة نتصل بعدد أكبر من الناس ونقيم علاقات أقصر معهم، تواجهنا في متاجر الأطعمة ومعارض السيارات والمتاجر الكبيرة أطياف من الخيارات في التصاميم والمنتجات لم نسمع بها في العام السابق وقد تكون باطلة أو منسية في العام اللاحق. الحداثة وقصر الامد والتنوع والتسارع صفات أساسية متفق عليها للوجود الحضاري.[٢] أو كما يقول "توفلر": "إننا نحن البشر إذا لم نستطع التحكم بمعدلات التغيير في شئوننا الخاصة وفي المجتمع ككل، فإنه يقضي علينا لا محالة بالتعرض للانهيار الجماعي كنتيجة لعجزنا عن التكيف مع عملية التغيير". [٣] وهنا يطالب "توفلر" انسان اليوم أن تكون له القدرة على التكيف، فإن لم يحدث ذلك فإنه ليس بمقدوره أن يواجه الصدمة بل سيتعرض للانهيار.

يذكر لنا "توفلر" أن منذ دهور مضت قذفت البحار المنحسرة بملايين من المخلوقات المائية إلى شواطئ جديدة التكوين، هذه المخلوقات وقد حرمت من بيئتها المألوفة أخذت تموت وهي تحاول في كل لحظة أن تبقى، ولكن القلة المحظوظة من الخلوقات المهيئة برمائياً هي التي استطاعت أن تنجو من صدمة التغيير. ويستشهد "توفلر" بقول عالم الاجتماع "لورنس سوم": " نَمُرُ بفترة تشهد من حيث تأثيراتها الصدمية تطور أسلاف الانسان من مخلوقات بحرية إلى مخلوقات برية.... فأولئك الذين يستطيعون التكيف سوف يتطورون. أما أولئك الذين لن يستطيعوا فإما أن يبقوا عند مستوى أقل من التطور، وإما أن ينقرضوا ويدركهم الفناء".[٤] إذن "توفلر" يلزم على كل فرد التكيف مع أي تغير حاصل، و هذا جانب برجماتي حيث في اعتقاد البرجماتية أن التغيير هو جوهر

---

[١] د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**،

[٢] د/ روبرت ب. سيالديني: **التأثير(علم النفس الإقناع)**، ترجمة: د. سامر الايوبي، العبيكان، ط١، أبوظبي، ٢٠١٠م، ص٣٠٦.

[3] Alvin Toffler: **Future Shock**, Optic, P.10.

- الترجمة : ص ١

[4] ibid :P.168.

- الترجمة : ص ٣٤٣

الحقيقة وترتب على هذا القبول بمبدأ التغيير، لأن الفرد إذا لم تكن له القدرة علي التكيف فإنه سيتعرض للصدمة.

إن توقعات المستقبل تعبر في أساسها عن الروح الأمريكية. فتوفلر لم يعتمد علي تصورات ميتافيزيقية وانما كانت قضايا القرن العشرين هي الأرض الثابتة التي انطلق منها لتوقع صدمات مستقبلية قد تواجه العالم مستقبلاً، وعليها فإن هذه الرؤية التي قدمها توفلر تتفق مع الرؤية الأداتية ل "جون ديوي" (١٨٥٩- ١٩٥٢م) تماماً علي موقف " توفلر" حيث يقول ديوي: "نحن نملك (الفكر) ولكن على طريقة "برجسون" (**) Henri Bergson(١٨٥٩-١٩٤١) وتفسيره، أي العقل وقد ضبطت أوتاره على احوال الفعل في المادة وفي العالم". (١)

٣) التغير والموجة الثالثة:

يعتقد "توفلر" أن أكثر المجتمعات عرضة لصدمة المستقبل هي المجتمعات الأكثر تطوراً مثل المجتمع الأمريكي والمجتمع الأوروبي، بسبب السرعة الهائلة والتغيرات الحادثة في واقعهم المعاش، لدرجة أن ما كان يعد حقائق بالأمس أصبح اليوم مجرد مخلفات. ويضيف "توفلر" إلى أن تغير القيم يحدث الآن بأسرع مما حدث في أي فترة سابقة في التاريخ، فبينما كان الرجل في الماضي يشب في مجتمع ما هو يتوقع أن نظام القيم في ذلك المجتمع سوف يبقي طوال فترة عمره دون تغير يذكر، فإننا لا نجد اليوم لمثل هذا المبدأ المضمر وجوداً إلا في أشد المجتمعات عزلة وأكثرها تخلفاً من الناحية التكنولوجية.(٢)

ومعني هذا أن اللاثبات والتغير الدائم في البنية قد أصبح سمة غالبة لكل نظم القيم لدى الأفراد والجماعات. وأنه أيًا كان مضمون القيم التي ستصعد لتحل محل قيم عصر التصنيع، فإنها ستكون أقصر عمراً وأسرع زوالاً من قيم الماضي، وليس هناك أي دليل على أن عصر ما فوق التصنيع يمكن أن يعود إلى "حالة الثبات" فيما يخص القيم. بل على العكس فإننا نستطيع أن نتوقع في المستقبل تغيراً أسرع في القيم.(٣) وهنا يرى "توفلر" أن القيم تتغير باستمرار في الدول المتقدمة تكنولوجيًا، بالخلاف من المجتمعات التي تعرف بعزلتها عن العالم فضلًا عن تخلفها تكنولوجيًا.

(**) **هنري برجسون** : فيلسوف مثالي فرنسي ، وممثل الحدسية في عام ١٩٠٠ أصبح أستاذًا بالكوليج دى فرانس، وانتخب عام ١٩١٤م عضوًا بالأكاديمية الفرنسية . والمفهوم الرئيسي في مثالية برجسون هو " الديمومة الخالصة " أى اللامادية ، وهي أساس وأصل جميع الأشياء . **انظر :** روزنتال ، ب . يودين : **الموسوعة الفلسفية (غ- ى)** ، ترجمة : سمير كرم ، مرجع سابق ، ص ٧٨، مادة " برغسون ،هنري ".

(١) د. فتحي محمد نبيه شعبان : **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق

انظر أيضًا : جون ديوي: **الفردية قديمًا وحديثًا**، ترجمة: خيري حماد، مراجعة مروان الجابري، منشورات درا مكتبة الحياة، ط١، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٣.

(2)Alvin Toffler: **Future Shock**, Op.cit, p. 157

- الترجمة : ص٣١٨.

(3) ibid : p. 157

- الترجمة: ص٣١٨.

إلا أن "توفلر" مقتنع أشد القناعة بأن الإنسان له القدرة على التكيف، لأنه أثبت أن يستطيع التكيف مع التقلبات المناخية سواء ببرودة الطقس أو شدة الحرارة أو العوامل السياسية الحاصلة، كالسجون والمعتقلات لبعض الناس وهم يكيفون واقعهم معها، وبهذا يقول "ألفين توفلر": "تقبع خلف هذه الحقائق الاقتصادية المذهلة تلك العجلة العظيمة للتغير- التكنولوجيا وهذا لا يعني أن التكنولوجيا هي المصدر الوحيد للتغير في المجتمع، فالثوران المجتمعي يمكن حدوثه بسبب المكونات الكيميائية للطقس أو تغيير المناخ أو العديد من العوامل الأخرى، وبرغم ذلك تشكل التكنولوجيا بلا منازع قوة هائلة تقف خلف ذلك الزخم المتدافع. [١] من هنا يريد "توفلر" أن يكون إنسان اليوم متمتعًا بوعي منسجم مع معطيات الواقع، فالتغيير المستمر يملي علينا أن نكون متأهبين لكل حدث قد يهدد المنظومة المجتمعية، فإن حدث أي تغيير في واقع العالم ولم نكن قد تفاعلنا معه بصورة صحيحة سنكون عندها معرضين للانهيار المجتمعي.

وضع "توفلر" نظرية تاريخية للمجتمع العالمي، يوضح فيه أن المجتمع مر بموجتين حضاريتين، وهو الآن يستعد لدخول حضارة الموجة الثالثة. الموجة الأولى المعروفة بالثروة الزراعية التي بدأت منذ عشرة آلاف سنة، التي تحول فيها المجتمع من الحياة البدائية غير المستقرة إلى حياة أكثر استقرارًا [٢]، والموجة الثانية التي بدأت مع قيام الثورة الصناعية قبل ثلاثمائة سنة، فهي تعتمد على الآلات والتكنولوجيا، أما حضارة الموجة الثالثة فهي تعتمد على حضارة المعلومات، أي على القوة العقلية بدلًا من القوة العضلية في الاقتصاد.[٣]

ويبدو هنا دور التحليل الاجتماعي لتعاقب الموجات واضحًا جلياً، حيث قام "توفلر" بتقسيم التاريخ إلى حضارات أو موجات ثلاث، وقبل هذه الموجات ركز تحليله على طريقة وأسلوب حياة إنسان ما قبل الزراعة، الإنسان البدوي المرتحل، ثم قاده التحليل الاجتماعي إلى النظر في الحالة الاجتماعية القائمة على الزراعة، والصناعة، ثم توقعاته للمستقبل الذي سيكون من نصيب حضارة الموجة الثالثة التي تتسم بالسرعة العالية للتغيير.[٤]

في النصف الثاني من القرن العشرين (الذي اعتدنا بعد تردد علي أن نصفه بالقرن الماضي) خبرت البشرية مقولة " أن التغير هو الثابت الوحيد". وفي العقود الأخيرة من هذا القرن، وبالذات منذ عام ١٩٧٠م الذي صدر فيه كتاب "ألفين توفلر" صدمة المستقبل، تركز الحديث علي "سرعة التغير" وآثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية

---

[١] خالد عبدالرحيم السيد: **مقالاتي (مقالات مختارة)**، دار الشروق، ط١، قطر، ٢٠١٢م، ص ص٨٤، ٨٥.

[2] Alvin and Heidi Toffler: **Creating a new civilization The politics of the third wave**, Harvard Journal of law & technology, volume 9, Number1, winter 1996, P.1.

[3] Kenneth E. Jones, Jr: **Going home the influence of work force performance management system in the decision to engage in remote work environments**, Ph.D, Anderson university, 2011, P.1.

[٤] د.فتحي محمد نبيه شعبان: **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق.

بشكل عام. واعتمدت تحليلات التغير وسرعته علي دراسة منجزات "الثورة العلمية والتكنولوجية" وآثارها الحاضرة والمستقبلية، لقد عبر "توفلر" عن ذلك بمفهوم "الموجة الثالثة" التي تلت موجتي الزراعة والصناعة في حياة البشر. وشاعت بعد ذلك مصطلحات "المجتمع ما بعد الصناعي" و "مجتمع المعلوماتية" و "ما بعد الحداثة". [١]

ويمكن اقتناص تعبير "توفلر" بأنها "موجة التحول" والتي تعطي التوصيف الصحيح للتغيير المستمر ولكن تحدث بعض التراكمات أو الاكتشافات التي تؤدي إلى انقلاب في طريقة الحياة ومن هنا برز عصر الزراعة وعصر الصناعة والتصور بأننا في مرحلة انقلاب إلى عصر المعلومات والتي وصفها "توفلر" بأنها الموجة الثالثة.[٢]

تحدث "توفلر" عن حضارة الموجة الثالثة وقد تبعه الكثير من المفكرين في ذلك بطريقة أو بأخرى، ولكن القضية التي شغلت العالم في القرن العشرين وحتي وقتنا الحاضر هي الدعوة إلى حماية البيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان، وتعد هذه الطريقة في التفكير لوناً من ألوان البرجماتية، فنجد علي سبيل المثال أن مفكراً مثل "توماس فريدمان" قد تكلم باستفاضة عن التغيرات المناخية التي جاءت نتيجة للثورة الصناعية الهائلة وما ترتب عليها من القضاء علي المساحات الخضراء علي الارض، فذكر "فريدمان" في كتاب له تحت عنوان (العالم دافئ مزدحم ومسطح) أن المشكلة هي لحظة انتقالنا من حالة الراحة و "السبل السهلة" إلى "زوال الأخضر"، والحقيقة في نظر " فريدمان" هي، بالنسبة لذلك كله أننا نتكلم عن ذهاب الأخضر، "وليس لدينا اتفاق كمجتمع على ماذا يقصد فعلاً بوجود "الأخضر". فالمشكلات الراهنة إذا هي محل اهتمام المفكرين في وقتنا الحاضر، والعالم يعاني معاناة شديدة نتيجة لتسارع التغيير وما أحدثه من آثار مدمرة تهدد الكرة الأرضية بكاملها، فتوفلر-هنا- يجذب الرأي العام العالمي إلى صدمات مستقبلية محتملة.[٣]

في مستهل كتابه "حضارة الموجة الثالثة" يرى "توفلر" : "تبزغ في حياتنا حضارة جديدة يحاول البعض إجهاضها. إنها تجلب معها أساليب عمل متغيرة، اقتصاداً جديداً صراعات سياسية جديدة، ووعياً متغيراً، ظهرت إلى الوجود أجزاء من هذه الحضارة، وبدا ملايين من الناس متناغمة حياتهم مع إيقاع المستقبل. إن فجر هذه الحضارة الجديدة هو الحقيقة الوحيدة الأكثر توازناً في حياتنا، وهي الحدث الرئيس الذي سنفهم من خلاله السنوات القادمة مباشرة.[٤] وبهذا نلاحظ أن "توفلر" يخاطب الناس بأن هناك مستقبلاً جديداً يواجهنا، متمثلًا بحضارة جديدة مغايراً عن الحاضرة التي نعيشها. هذا المستقبل وهذه الحضارة سيكونان مختلفين كل الاختلاف عما نعيشه من أنساق وقيم أعتدنا عليها.

---

[١] د/أحمد شوقي: **صدمة المستقبل (هل يتجاوز الانسان الانسانية؟!)**، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٣.

[٢] د/عوض مختار هلودة : **المراكز التكنولوجية ودورها في نقل وتوطن التكنولوجيا**، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢١.

[٣] د/ فتحي محمد نبيه شعبان: **فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**،مرجع سابق.

[4] Alvin Toffler: **The Third Wave** , op.cit, p. 12

- الترجمة : ص١٧.

هذه الحضارة وهذه الموجة لها أسلوبها الجديد الذي يتأسس على مصادر الطاقة المتنوعة والمتجددة، لها أساليب إنتاج تجعل من خطوط إنتاج المصانع والمعامل أشياء عتيقة انتهى زمانها، ونجد في هذه الحضارة أسراً وعائلات جديدة غير نووية ومؤسسة من نوع جديد، يمكن أن تسمى بالكوخ الإلكتروني وعلي مدارس وشركات ونقابات مختلفة جذرياً، فتخط لنا هذه الحضارة قواعد جديدة للسلوك وتحملنا إلى ما بعد التنميط والتزامن والتمركز، فهذه الحضارة لها رؤيتها المتميزة للعالم، وطرقها الخاصة للتعامل مع الزمن وسياسات المستقبل.[١] وهنا نرى أن العمل في حضارة الموجة الثالثة لم يعد مقتصرًا في المصنع أو الشركة فحسب، بل سيكون العمل في البيت بالقرب من العائلة (البيت الإلكتروني)، ولهذا يرى "توفلر" أن الوضع الاقتصادي سيتغير جذريًا عما هو عليه في الموجة الثانية بسبب الانفجار الإلكتروني.

يضيف "توفلر" أن حضارة الموجة الثالثة هي حضارة جديدة تهيأ وجودها في أمريكا وأوروبا منذ منتصف الخمسينات من القرن العشرين، ولم تتبلور كليًا للآن، إلا أنها تسير في طريق التغيير المتلاحق بسبب سرعة العلوم وتقدمها، هذه العلوم هي علوم الكمبيوتر والإلكترونيات، إنه عصر المعلومات.[٢] وهنا يرى "توفلر" ان حضارة الموجة الثالثة نشأت من باطن حضارة الموجة الثانية (الحضارة الصناعية)، ولابد أن تتخلل بعض الصيحات المعادية للحضارة الجديدة، لأنها ستزيل كل ما هو معتاد في الحضارة الثانية.

٤) مفهوم الزمن وتوقعات المستقبل عند توفلر:

رأي "توفلر" أن أداة القياس الأساسية هي الزمن، إنه يربط بين الزمن والتغيير، وبدون الزمن لن يكون للتغيير معنى، وبدون التغير سيتوقف الزمن. حيث أشار "توفلر" إلى كيفية معرفة أن التغير يتسارع؟ ليس ثمة بعد وسيلة مطلقة أو معيار قاطع لقياس التغيير، ففي المنظومة الكونية كما في أي مجتمع، يحدث التغيير ويسير متزامناً في عدد لا نهائي من الروافد. إن أدق الفيروسات إلى أضخم المجرات، ليس في الحقيقة أشياء على الإطلاق وإنما هي في الواقع "عمليات" ليست هناك نقطة إثبات ولا بقاء يشبه الخلود لنقيس عليه التغيير.[٣] فالتغيير إذن يصبح نسبيًا بالضرورة، وعليها فإن التغيير متفاوت وغير منتظم، وحتى لو فرضنا أن كل عملياته تحدث بنفس السرعة، وإنها تتسارع وتتباطأ في توحد تام، لظل مستحيلاً أن نرصد التغيير رصداً دقيقاً، ومن ناحية أخري فإن المستقبل يغزو الحاضر بسرعات متفاوتة.[٤] وإذن فإنه من المستطاع مقارنة سرعات العمليات المختلفة عندما تكشف عن نفسها، فنحن نعلم على سبيل المثال أن التطور الثقافي والاجتماعي يعتبر فائق السرعة إذا ما قورن بالتطور البيولوجي للأنواع. -كما نعلم أيضاً- أن هناك مجتمعات حققت تطوراً اقتصادياً وتكنولوجياً أسرع من غيرها. كما

---

(1) ibid: p. 13

- الترجمة: ص١٨.

١. (٢) بشير خليفة: **ألفين توفلر والمستقبل** بحث منشور في معجم الفلاسفة الامريكان، **تحرير :** علي عبود المحمداوي، تقديم: د. محمد الشيخ، دار ومكتبة عدنان، ط١، بغداد، ص٥٦١.

(٣) د. فتحي محمد نبيه شعبان **: فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)**، مرجع سابق

(4) Alvin Toffler: **Future Shock**, Op.cit, P.١٩

- الترجمة : ص٢٠.

أنه داخل المجتمع الواحد، تعطي القطاعات المختلفة معدلات مختلفة في التغيير. إن هذا التفاوت في معدلات التغيير هو على وجه التحديد ما جعل من الممكن قياس ما سماه ويليام أوجبورن بالتخلف الثقافي.[١] وهنا يرى "توفلر" بسبب هذا التغيير تبدل إيقاع حياتنا اليومية، لدرجة أننا لم نعد نحس الحياة كما كنا ندركها سابقاً، والمشكلة تكمن في أن التغيير صار خارج نطاق التحكم لسبب بسيط؛ لأنه نسبي ولأنه من دون الزمن يصبح التغيير بلا معنى، ومن دون تغيير يفقد الزمن بالضرورة معناه، إن الشواهد أمام أعيننا تنبئنا أن الثورة العلمية التي جلبت معها قفزة إلى تكنولوجيا المواصلات والاتصالات الرقمية، حولت عالمنا بتراكم الاختراعات إلى قرية كونية، وعند "توفلر" أن التغيير امتد إلى كل شيء، لقد مس الحياة المادية، كما لمس حياتنا الثقافية وشبكة علاقاتنا الاجتماعية والأسرية، ثم لحق بأفكارنا وهز معتقدات وقناعات معظم أفراد المجتمع، أي مجتمع، لدرجة أن سرعة التغيير بلغت حداً نستطيع أن نقول معه إن الإنسان في عالمنا الذي نعيش فيه الآن، يصبح كل يوم ليجد نفسه أمام عالم غير الذي نام عنه بالأمس! وحتى لا يصاب بالاكتئاب، عليه أن يجاهد ليتكيف ويعيد ترتيب حياته مع نمط لتيار حياة لا يتوقف عن الجريان.

ولكننا مع ذلك لن نستغنى عن أداة قياس تمكننا من المقارنة بين العمليات المختلفة والمتعددة. أداة القياس هذه هي الزمن، فبدون الزمن يصبح التغيير بلا معنى، وبدون تغيير سوف يتوقف مسار الزمن.[٢] والزمن عند الإغريق هو التغير: ما كنا عليه وما نحن عليه الآن سوف ينتهي، وسواء كان جيداً أو سيئاً أو وسطاً بينهما. وكان الفيلسوف "هيرقليطس" يرى أن الكون كله يحكمه قانون واحد للتغير: " كل شيء في تغير مستمر. لا استقرار لشيء".[٣]

وينقسم الزمن إلى ثلاث مراحل: ماضي وهو كل شيء سابق على الحال القائم، والحاضر وهو كل ما هو قائم حالياً وفي حالة الحركة، والمستقبل هو الآتي بعد الحاضر، والفرق بين المراحل الثلاث هو أن الماضي قد أصبح حقيقة لا يمكن للإرادة الانسانية تغييرها، أما الحاضر فهو عملية متحركة لم تكتمل بعد ولن يكون للتدخل في مساره إلا القدر النسبي من التأثير، في حين يمثل المستقبل المجال الوحيد المتاح أمام الإرادة الإنسانية للتدخل فيه.[٤] يتضح هنا أن حالة العالم الحاضر تتضمن، بشكل مضمر، حالات عالم المستقبل لكنها تتضمن بذورًا مجهرية ستتبلور، لكنها غير مرئية بالنسبة لأعيننا، إن المستقبل سيكون خليطًا مجهولًا من الأمور المتوقعة وغير المتوقعة، وإلى هذا ينبغي أن نضيف أن المستقبل ضروري لمعرفة الحاضر.

---

(1) ibid: p. 19

- الترجمة : ص٢٠.

(2) ibid : p. 20

- الترجمة : ص٢١.

[٣] آرثر هيرمان: **فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي**، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٤٨.

[٤] د. وليد عبدالحي: **الدراسات المستقبلية (النشأة والتطور والاهمية)**، مجلة التسامح، العدد(٩)، عمان، ٢٠٠٥م، ص٦٨.

فالزمن يمكن إدراكه من حيث أنه فواصل تقع خلالها أحداث. وكما هيأت لنا النقود أن نحدد قيمة معينة لكل من التفاح والبرتقال، فإن الزمن هو الذي يهيئ لنا أن نقارن بين عمليات مختلفة... فعندما نقول إن بناء سد يحتاج إلى ثلاث سنوات، فإننا في الحقيقة نقول إن بناء السد يحتاج إلى ثلاثة أمثال الوقت الذي تستغرقه الأرض في دورة كاملة حول الشمس، او.... او..... و٣١ مثل الوقت اللازم لبري قلم رصاص. فالزمن هو العملة التبادلية التي تجعل من الممكن مقارنة المعدلات التي تستطيع بها العمليات المختلفة أن تستنفذ نفسها.[١] حيث يتضح فكر توفلر البرجماتي حيث أن الزمن متغير وان الكون متعدد وأنه ذو معالم كثيرة ومختلفة ومتنوعة، وأنه ما زال في مرحلة التكوين، وعليه فالمستقبل مفتوح، ويستطيع الإنسان أن يشارك في تكوين المستقبل.

وحتى مع التسليم بتفاوت التغيير، والتسلح بالزمن كأداة قياس، فإنه تبقى بعد كل ذلك أمامنا صعوبات جمة ومرهقة في سبيل قياس التغيير. فعندما نتحدث عن معدل التغيير فإننا نشير إلى عدد من الأحداث المجمعة في إطار فترة زمنية محددة اعتباطاً. ومن ثم فإننا نحتاج إلى أن نحدد تلك "الأحداث" وأن نتخير بدقة تلك الفترات الزمنية. ونحتاج إلى منتهى العانية والحذر في استخلاص النتائج من الفوارق التي نرصدها. وفوق ذلك فإنه بالنسبة لقياس التغيير ينبغي أن يوضع في الاعتبار أننا اليوم أكثر تقدماً بالنسبة للعمليات المادية منها بالنسبة للعمليات الاجتماعية. إننا نستطيع أن نقيس معدل سريان الدم في الجسم بدقة تفوق كثيراً قدرتنا على قياس معدل انتشار اشاعة في المجتمع. حتي مع كل هذه الصلاحيات فثمة وجهة نظر ذائعة ومتفق عليها من كثير ممن تعددت مجالات تخصصهم، من المؤرخين، وأثريين، إلى علماء، واقتصادين، وأخصائيين في الاجتماع وفي علم النفس مؤداها أن عديداً من العمليات الاجتماعية تتسارع بشكل أخاذ ومثير للدهشة.[٢] وهنا نجد "توفلر" يركز على التغيرات المحتملة وعلى التكلفة الاجتماعية والسياسية لمعدلات التغير السريعة وتعظيم القدرات الشخصية والمجتمعية للتعامل معه.

لقد لاحظ "ألفين توفلر" أنه في خلال المائتي عام الماضية كان الإنسان يسافر عبر الزمن، لأن العالم الذي يوجد في شيخوختنا يكون متغيراً عن العالم الذي نولد فيه أو ما يسمي ظاهرة انضغاط الزمن. ولبيان ذلك دعنا نسرد الأشياء التي لم تكن موجودة منذ ستين عاماً: القنابل الهيدروجينية – الصواريخ عابرة القارات– الغواصات النووية– طائرات الشبح – منظومات تحديد المكان الكوكبية **Global positioning systems (GPS)** – الليزر– أفران الميكروويف – الحاسبات الإلكترونية – الساعات الرقمية، وغيرها.[٣] يتضح هنا أن "توفلر" يعبر عن حالة الاجهاد العالية وعدم التوازن التي تنتاب البشر عندما يتعرضون لتغيرات سريعة متلاحقة في زمن قصير جدًا.

---

(1)Alvin Toffler: **Future Shock**, Op.cit, PP.20.

- الترجمة : ص٢١.

(2) ibid : p. 20

- الترجمة : ص ص ٢١، ٢٢.

(٣) جريجوري بول، وإيرل كوكس: **ما بعد الانسانية (التطور السيبري والعقول المستقبلية)**، المكتبة الأكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٦.

يرى "توفلر" أن مجتمع الأرض لا ينقسم على أساس العنصر والقومية والدين فحسب، بل على أساس وضعهم من الزمن، والشاهد على ذلك قول "توفلر": "إن الحضارات تختلف بشكل كبير في طرقها في تطور الزمن".[١] فلو نظرنا إلى سكان عالمنا في الوقت الحاضر لوجدنا أن هناك فروقاً شاسعة في التعامل مع الواقع، فنجد أن هناك فئة قليلة لازالت تعيش على الصيد والقنص وجمع الطعام، وهناك فئة وهي الكبرى تعتمد في حياتها على الزراعة، وتعيش كما كام يعيش القدماء منذ قرون مضت، وتشكل هاتان الفئتان النسبة الكبرى لسكان الارض. وهناك نسبة أخرى من سكان العالم يعيشون في المجتمعات الصناعية معيشة حديثة، إنهم نتاج النصف الأول من القرن العشرين، وتبقي نسبة قليلة جداً أثنان أو ثلاثة بالمئة من سكان العالم هم إنسان المستقبل الذي لا ينسب للماضي ولا للحاضر، وهم بطبيعتهم يعيشون في المراكز التكنولوجية، إنهم إنسان المستقبل الذي سيعيشه الأخرون. وذلك لقدرتهم وتطورهم وتعليمهم المنهجي الصحيح.[٢]

ما الذي يجعل هؤلاء الناس مختلفين عن سائر أفراد الجنس البشري؟ حقاً إنهم أغنى وأحسن تعليمًا، وأقدر على الحركة من غالبية الناس. ولكن الذي يميزهم بنوع خاص هو أنهم قد أدركتهم بالفعل سرعة جديدة مرتفعة للخطو في الحياة. إنهم "يعيشون أسرع" ممن حولهم من الناس.[٣]

---

[١] بشير خليفة: **ألفين توفلر والمستقبل** بحث منشور في معجم الفلاسفة الامريكان، **تحرير :** علي عبود المحمداوي، مرجع سابق، ص٥٥٥.

[2] Alvin Toffler: **Future Shock**, Op.cit, PP.28, 29.

- الترجمة: ص ٣٨.

[3] ibid : p. 29

- الترجمة : ص٣٩.

الخاتمة:

من خلال ما سبق طرحه، ترى الباحثة أن صدمة المستقبل ستعم البلدان المتطورة تكنولوجياً، لأن السرعة التقنية هي التي تعمل الفارق بمكتسبات وثقافات هذه الدول. أما الدول النامية أو بلدان العالم الثالث فلن تصيبها الصدمة، لأنها لازالت تعيش تحت سيطرة الموجة الزراعية والموجة الصناعية، وهذا لا يعني أن هذه البلدان ستكون أفضل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل إنها ستفقد الهيمنة باستمرار لأن العلم سيكون هو المهيمن والمسيطر علي عالم المستقبل، كما يجب علي إنسان اليوم أن تكون له القدرة علي التكيف، فإن لم يحدث ذلك فإنه ليس بمقدوره أن يواجه الصدمة بل سيتعرض للانهيار.

يرى "توفلر" أن الكشوفات العلمية الحاصلة والمتسارعة في مجال الحياة وستترك أثرها المباشر على حياة الإنسان، لأنها ستصاحب معها تغيراً في علاقات الإنسان بالبيئة وبالناس وبالأفكار والمعتقدات والعلاقات....إلخ، إذ سيجد نفسه أمام عالم لم يألفه، وبالوقت نفسه مطالباً بالتكيف مع هذا العالم، وعلى هذا النحو فإن الإنسان سيصاب بخلل وبدوار يسميه " توفلر" "صدمة المستقبل". وعلي هذا النحو فالتغيير عند "توفلر" لن يصيب العالم الواقعي فحسب، بل إنه سيتغلغل في أنسجة المجتمع، في علاقاتهم وثقافاتهم.

إن العالم المتقدم الذي سيمر بصدمة المستقبل ستستحوذ عليه صفة اللاثبات والتغيير الدائم في البنية، فكل هذا قد أصبح سمة غالبة لكل نظم القيم للأفراد والجماعات، وأنه أياً كان مضمون التي ستصعد لتحل محل القيم السائدة آنذاك، فإن عمرها سيكون قصيراً، وسرعان ما تزول، فالتقنية المتطورة والمتسارعة ستفرض اللاثبات على العالم بسبب تغيرها باستمرار.

ركز "توفلر" في صدمة المستقبل على التغيرات المحتملة وعلى التكلفة الاجتماعية والسياسية لمعدلات التغيير السريعة وتعظيم القدرات الشخصية والمجتمعية للتعامل معه، إن تكيفًا أو ضبطًا حسب مقتضيات الحال ويقترح "توفلر" تبني مقاربة التحليل الاجتماعي لمواجهة الموجة الثالثة بالتركيز على تاريخ الانسان والمجتمع كموجات تحوي امتدادات وانكسارات تباينات في الشدة والمدى، وذلك لتعيين التغيرات الأكثر دلالة والأكثر تأثيرًا في مسيرة المجتمع.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع العربية

١. د. أبوحمور الشايب أحمد محمد: مفاهيم إدارية معاصرة، المنهل للنشر والتوزيع، ط١، لبنان، ٢٠١٤م.
٢. د. أحمد شوقي: حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة،٢٠٠٢م.
٣. د. أحمد شوقي: صدمة المستقبل (هل يتجاوز الانسان الانسانية؟!)، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. آرثر هيرمان: فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٥. بشير خليفة: ألفين توفلر والمستقبل بحث منشور في معجم الفلاسفة الامريكان، تحرير : علي عبود المحمداوي، تقديم: د. محمد الشيخ، دار ومكتبة عدنان، ط١، بغداد.
٦. توماس آر. روزبرو – رالف جي. ليفيريت: التعليم التحويلي في عصر المعلوماتية (ربط هدف التعليم وطريقة التدريس بالطلاب)، ترجمة: وسام صالح عبدالله، دار العبيكان، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م.
٧. جريجوري بول، وإيرل كوكس: ما بعد الانسانية (التطور السيبري والعقول المستقبلية)، المكتبة الأكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٨. جون ديوي: الفردية قديمًا وحديثا، ترجمة: خيري حماد، مراجعة مروان الجابري، منشورات درا مكتبة الحياة، ط١، بيروت، ١٩٧٩م.
٩. د. حسن محمد الكحلاني : فلسفة التقدم (دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ)، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ٢٠٠٣م..
١٠.د. خالد عبدالرحيم السيد: مقالاتي (مقالات مختارة)، دار الشروق، ط١، قطر، ٢٠١٢م.
١١.روبرت ب. سيالديني: التأثير(علم النفس الإقناع)، ترجمة: د. سامر الايوبي، العبيكان، ط١، أبوظبي، ٢٠١٠م.
١٢.د. زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٣.عبد الأمير مويت فيصل: الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠٥م.
١٤.عوض مختار هلودة : المراكز التكنولوجية ودورها في نقل وتوطن التكنولوجيا، المكتبة الاكاديمية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٥.د. فتحي محمد نبيه شعبان : فلسفة الحضارة (الحضارة الكونية)، رقم الايداع ٢٠١٦/٩٢٧٤١.
١٦.م . روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية (أ، ع)، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت.
١٧.محمد محفوظ: العولمة (المسيرة البشرية لإدراك المشتركات الانسانية "قراءة ضد التيار")، دار شمس، ط١، ٢٠١١م.

١٨.مدحت محمد أبو النصر: مناهج البحث في الخدمة الاجتماعية، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م.
١٩.وليد عبدالحي: الدراسات المستقبلية (النشأة والتطور والاهمية)، مجلة التسامح، العدد(٩)، عمان، ٢٠٠٥م.

ثانيا : المراجع الأجنبية

20. Alvin and Heidi Toffler: Creating a new civilization The politics of the third wave, Harvard Journal of law & technology, volume 9, Number1, winter 1996,.
21. Alvin Toffler and John Mchale : The Future and the functions of art : A conversation between Alvin Toffler and John Mchale, The MIT press, Leonardo, vol.20,No.4, 1987.
22. Alvin Toffler: The Future Shock, Random House edition published, New York, 1970.
23. Brian Duignan : The 100 Most influential Philosophers Of all time, Britannica Educational Publishing, New York, 2010.
24. Kenneth E. Jones, Jr: Going home the influence of work force performance management system in the decision to engage in remote work environments, Ph.D, Anderson university, 2011.
25. T.M.G Alvin: Experiences of work within Rapid changing organizations (valume1), for the degree of P.H.D, university of Bath, 1983.
26. Thomas L. Friedman : From Beirut to Jeusalem , farrar & strausand Giroux, first . Edition , New York, 1989.